الفصل الأول

إسهامات الحضارة الإسلامية
فى يقظة أوروبا ودخولها عصر النهضة

الفصل الأول

إسهامات الحضارة الإسلامية
فى يقظة أوروبا ودخولها عصر النهضة

لقد أسهمت الحضارة الإسلامية إسهاماً فاعلاً فى يقظة أوروبا، وانتشالها من الظلام والجهل والعبودية فى العصور الوسطى، إلى النور والعلم فى عصر النهضة، وتشهد على ذلك "الأندلس" و"قرطبة" همزة الوصل بين أوروبا والشرق آنذاك.

لقد كان السبق لفلاسفة، وعلماء، وفقهاء، ومفكرى المسلمين، وخاصة فى القرون الأربعة الأولى من الهجرة النبوية، كان لهم السبق فى حدوث نهضة علمية حضارية عظيمة، كان لها أثرها على العالم عامة، وعلى الغرب الأوروبى خاصة، وما كان هذا الإنجاز الحضارى إلا بفضل انفتاح علماء المسلمين على الثقافات الأخرى، امتزاجاً بها، وتفاعلاً معها، وخاصة تراث الحضارات: (اليونانية، والرومانية، والفارسية، والهندية، والمصرية القديمة)، فكان لهذا التفاعل دور عظيم فى إثراء العلم الإنسانى فى مجالاته: العلمية، والأدبية، والفنية كافة، واستطاعت الحضارة الإسلامية بفتوحاتها لبعض أجزاء أوروبا التى كانت غارقة آنذاك فى الجهل والتخلف بفعل المواقف العدائية للعلم والعلماء، من قِبَل الكنيسة، ومحاكم التفتيش - التى كانت فى اضطهاد دائم للعلماء والفلاسفة والمفكرين - استطاعت الحضارة الإسلامية أن تُخرج أوروبا من هذا الجمود والتخلف إلى عصر النهضة.

أولاً: أهم الفتوحات الإسلامية كمعابر إلى غرب أوروبا

على الرغم من محاولات التضليل، والقول بأن النهضة الأوروبية بدأت من إيطاليا، إلا أن حقيقة الأمر أنها استمدت كثير من قواها الدافعة من "الأندلس الإسلامية خلال القرن الثالث عشر، وكان لعلماء المسلمين على كافة

تخصصاتهم، وإنجازاتهم العلمية، دور إيجابى فى تطوير العقلية الأوروبية، وذلك فى مجال العلوم التجريبية والتطبيقية، والعلوم النظرية على السواء، وفى هذا أكد الكاتب الأسبانى "**بلاسكو ابيانز**" أن النهضة الأوروبية لم تأت من الشمال، وإنما جاءت من الجنوب مع المسلمين الفاتحين، الذين حملوا معهم المدنية والتقدم، وأدخلوا الثقافة الشابة الفتية النشطة، ذات صنوف التقدم السريعة المدهشة، التى انتصرت بمجرد ولادتها على أرض الأندلس، هذه الحضارة التى قامت بفضل **المناخ الحر** الذى أتاحه الإسلام للعقل، أن يبحث ويسبح من أجل المعرفة، ولم يقيده بقيود كتلك التى فرضتها الكنيسة على العقلية الأوروبية. (٣٢: ٦٤٩).

ففى العصور الوسطى فرضت الكنيسة سيطرتها على التعليم والتربية فى أوروبا، وانحصرت أهداف التعليم فى الفلسفة الدينية وتعليم الأخلاق منذ الصغر، وان الإنسان يمكنه الوصول إلى الأفكار الدينية الصحيحة من خلال الكتب الدراسية المؤلفة بطريقة محكمة. (٥٠: ٣٦٧)

وكانت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى ترى فى التعليم طريقها إلى الخلاص، وذلك باقتناع أبناء جماهير الشعب بأن التواصل مع الله، يمكن أن يتم دون وساطة الكنيسة من خلال قراءة الإنجيل، وكانت التربية فى عصر النهضة وظيفة من وظائف الحياة، ومجرد وسيلة لزرع المُثل العليا، وهكذا انحصرت علوم الدين، لتحل بدلا منها علوم الطبيعة وعلوم الإغريق، وأخذت القيم تغيب شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت (القيمة الفورية) لا (القيمة الروحية) هى غاية التعليم فى التربية البرجمانية، ويعتبر "نيتشه" مثالا للحالة القصوى لهجرة القيم، فهو يطالب بمدارس كالمعابد تؤمها النفوس النبيلة إلى أن تحيا على هواها، تنشد علماً مرحاً متحرراً من الأخلاق الإنسانية، فالمثل العليا والقواعد الأخلاقية من صنع الضعفاء، والحق والخير فى رأيه سدود لابد أن تهدم، فهو يرى أنها قد بناها الضعفاء ليتقوا بها جبروت الأقوياء. (٦٠: ٣٢٩)

وهكذا قام النظام الغربى على أسس **معادية للدين**، ورفض الاعتراف بأهمية القيم الروحية، فثار على الدين وعلى الكنيسة، وجعل السلطة للعقل، ونادى بعزل الدين عن شئون الحياة والمجتمع، وقصره على علاقة الإنسان بربه، وبعض الطقوس والشعائر داخل الكنيسة، ونقد تصوراته وعقائده، وانتهى إلى التصريح بأنه لا حاجة إلى الدين فى عصر العلم، الذى أصبح قادرا على تفسير كل شىء تفسيراً علمياً صحيحاً، ويعبد الطبيعة ويقدس المادة، وقد يبدو هذا وكأنه كرد فعل عنيف لما اقترفته الكنيسة فى العصور الوسطى، وبداية عصر النهضة، فقد حاربت العلم واضطهدت العلماء وثارت ثائرتها عندما أعلن بعضهم أمثال "كوبرنيكوس" "بيروتو جاليليو" أن الأرض كروية، وأنها مركز الكون، فأحرقت مَنْ أحرقت، وعذبت وهددت بالحرق إن لم يكفوا عن هذه النظرية وغيرها، ومن هنا قامت النهضة الأوروبية على أسس معادية للدين، واتجهت إلى تراث الرومان والإغريق، وأخذت من عبادة العقل والجسد، وتقديس الإنسان، وطغيان النزعة المادية، أخذت ذلك كله لكى تنتقم من الكنيسة ودينها الفاسد (٣١: ٣٠٣، ٣٠٤).

ومن أهم الفتوحات الإسلامية التى هى بمثابة معابر للحضارة الإسلامية والاتصال بالغرب الأوروبى:

١ـ فتح الأندلس:

يعتبر فتح أسبانيا فى القرن الثامن للميلاد أول معابر المسلمين إلى أوروبا، وكان نتيجة ما يسودها من جهل وتأخر وفوضى ناجمة عن الخلل الاجتماعى، والانحلال الداخلى، والفتن الطائفية، ما جعل أساقفة "أشبيليه" يساعدون المسلمين على فتح أسبانيا – الذين بدورهم نقلوها إلى مرحلة استقرار وأمن وإنشاء وتطور، حتى غدا "**الأندلس**" فى ظل خلافة "قرطبة" عاصمة الخلفاء الأمويين، أغنى الأقطار الأوروبية وأوفرها حضارة، ووطد المسلمون سلطانهم فى أسبانيا بالعلم، ولم يزيدوا على ما وصل إليه إخوانهم فى المشرق

من تقدم فحسب، بل ابتكروا ما أتاح لأوروبا مورداً تنهل منه منذ أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (٢٣: ٢٤٦).

وفتح المسلمون **الأندلس** فى عهد الخليفة "**الوليد بن عبد الملك**" على يد "موسى بن نصير، طارق بن زياد" فى عام ٩٢ هـ الموافق ٧١١م، وظلت الأندلس تحت الحكم الإسلامى حتى سقوط "غرناطة" آخر مملكة إسلامية فى "أسبانيا" عام ٨٩٧ هـ الموافق ١٤٩٢م. ولم يكن دخول المسلمين إلى أسبانيا بمثابة احتلالاً عسكرياً، وإنما كان فتحاً إسلامياً حضارياً، امتد أثره إلى غرب أوروبا، وخلال هذا الفتح، كان هناك امتزاجاً وتفاعلاً بين المسلمين والسكان الأصليين، وساد البلاد نوع من العدالة الاجتماعية، وسمح للمسيحيين الأسبان الذين لم يدخلوا فى الإسلام بالاحتفاظ بعقيدتهم، ومع ذلك كانوا عرباً فى بقية المعانى والسلوكيات الأخرى، وظلت "الأندلس" نتيجة لموقعها على الحافة الغربية للعالم الإسلامى – حيث أوروبا المسيحية– ظلت منطقة تفاعل مستمر بين الإسلام والمسيحية، مما جعلها ذات سمات وملامح مميزة، تؤكد أن الحضارة الأندلسية كانت حضارة إسلامية ذات تفاعل ثقافى. (إنترنت، ٨٠).

وبلغت الحضارة الإسلامية ذروتها بالأندلس فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد، ونتيجة لسياسة **التسامح** التى اتبعها المسلمون مع أهل الذمة (المسيحيين، واليهود)، أقبل المستعربون الأسبان على استخدام اللغة العربية وفضلوها على اللغة اللاتينية، وتتلمذ بعض اليهود على أيدى المسلمين، وهكذا نشأت مدرسة كبيرة من غير المسلمين، استطاع أعضاؤها القيام بدور السفراء بين الحضارة الإسلامية، وأهالى غرب أوروبا المتلهفين للاستفادة من حضارة المسلمين، وشارك اليهود فى الحياة الثقافية بالأندلس مشاركة فعالة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، بما ترجموه من كتب عربية كثيرة، وعندما سقطت "طليطلة" فى أيدى المسيحيين عام (١٠٨٥م) زاد طلاب العلم من بلدان غرب أوروبا إلى أسبانيا، **فنشطت حركة الترجمة عن العربية** نشاطاً منقطع النظير،

استمر عدة قرون بعد ذلك، وهكذا **ترجمت إلى اللاتينية مؤلفات عربية كثيرة** فى مختلف العلوم والفنون، كما ترجم للعربية مؤلفات كثيرة لليونانيين مثل: كتب "جالينوس"، "أبقراط"، "أفلاطون"، "أرسطو"، "أقليدس"، وغيرهم كثير. وكان من حكام أسبانيا المسيحيين مَنْ قدروا الثقافة العربية الإسلامية مثل: "الفونس الخامس" ملك قشتاله وليون [١٢٥٢ – ١٢٨٤م] الملقب بالحكيم. (٢٣: ٢٤٩).

وفى فضل الحضارة الإسلامية على الأندلس، يقول الكاتب الأسبانى "بلاسكو أبيانز" لقد قامت وتطورت أجمل وأغنى حضارة وجدت فى أوروبا خلال العصور الوسطى، فيما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر، ففى حين كانت شعوب الشمال تبيد بعضها بعضا فى حروب بربرية دينية، بلغ عدد سكان أسبانيا (٣٠ مليون نسمة)، وفى خضم هذه الوفرة السكانية كانت **تتمازج وتتفاعل كل الأعراق والأديان مع تنوع لا محدود**، مما أنتج عن هذا المزيج الخصب من الشعوب نوعاً من الزخم الاجتماعى الأكثر قوة، تتعايش فيه بسلام كل الأفكار والعلوم والفنون والعادات والمكتشفات، والصناعات والاختراعات فى هذا الحين على الأرض، ووجد الفلاسفة اليونانيون الذين كانوا على وشك أن يطويهم النسيان، وجدوا خلاصهم **بمرافقة العرب المسلمين** فى فتوحاتهم، إذ كان "أرسطو" يتربع على عرش جامعة "قرطبه" الشهيرة، وهذا ما أكده "دوزى R. Dozy" من أن الفتح الإسلامى لأسبانيا أحدث ثورة اجتماعية عظيمة، وأوجد حلاً للمشكلات التى عرفتها البلاد لقرون طويلة. (٣٢: ٦٤٨، ٦٥٠).

٢ـ صقلية:

دخلت صقلية تحت حكم المسلمين فى (٩٠٢ – ١٠٩١م)، وهى ذات موقع متوسط بين أوروبا وأفريقيا، وتعتبر شبه جزيرة صقلية هى المعبر الثانى للحضارة الإسلامية إلى غرب أوروبا، والتى فتحها المسلمين فى القرن التاسع للميلاد، ونتيجة حركة العمران والبناء فى كافة مجالات الحياة من صناعة، زراعة، تجارة وغيرها من ألوان التقدم البشرى، أدرك ملوكها مدى تفوق

المسلمين، وأيقنوا أن إنعاش "صقلية" الجزيرة العربية يتوقف على بقاء المسلمين العرب فيها، لذلك شمل "روجر الأول" (١٠٦١ – ١١٠١م) مسلمى الجزيرة بالرعاية والحماية، حتى وأنه كتب مراسيمه باللغة العربية، إلى جانب اللاتينية واليونانية، وكذلك صكت النقود أحد وجهيها باللغة العربية والآخر باللاتينية واليونانية، واشتمل بعض نقوده على رمز الإسلام، والبعض الآخر على شعار المسيحية، وكذلك كان اهتمام "روجرز الثانى" ملك صقلية (١١٢٩ – ١١٥٤م)، أيضا درس "وليم الثانى" (١١٦٦ – ١١٨٤م) اللغة العربية، وجعل مستشاريه من المسلمين يرجع إليهم فى أهم شئونه، واتخذوا حراسا من المسلمين، وكان الشعر العربى يتردد فى بلاط صقلية.

وفى عهد الإمبراطور "فردريك الثانى" وريث عرش صقلية فى القرن الثانى عشر، أنشئت مدرسة للشعر العربى، وتعلم اللغة العربية، وجمع حوله عدد من العلماء المسلمين، وشجع الجغرافيين، والفلكيين، والأدباء العرب، حتى أنه قيل عنه أنه نصف شرقى Semi Oriental، ولقد أسهمت صقلية بنصيب كبير فى **حركة الترجمة عن العربية** نتيجة موقعها المتوسط بين أوروبا وأفريقيا، فضلا عن دخولها تحت حكم المسلمين عام (٩٠٢ – ١٠٩١م)، وذلك نتيجة احتفاظها بنسبة كبيرة من سكانها المسلمين، وثقافتها العربية فى عصر "النورمان" الذين خلفوا المسلمين فى حكم الجزيرة، وقد قام بترجمة كتاب "بطليموس السكندرى" فى المرئيات عن العربية "أبو جينوس البالرمى" عام (١١٥٠م)، كما قام اليهودى "فرج بن سالم" فى القرن الثالث عشر والمتوفى عام (١٢٨٥م) بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللاتينية. (٢٣: ٢٤٩- ٢٥١).

٣ـ آسيا الصغرى والقسطنطينية:

وعلى أثر قوة الدولة العثمانية فتحت شبه جزيرة البلقان، واستولت على "القسطنطينية" (١٤٥٣م)، واتخذوا من عاصمتهم الجديدة "استامبول" منطلقا لفتح "المجر"، ووصلت جيوشهم إلى أسوار فيينا "بالنمسا" مرتين، الأولى عام

(١٥٢٩م)، والثانية عام (١٦٨٣م) وظلت جيوش المسلمين تشكل خطراً هائلاً على قلب أوروبا يفوق ذلك الخطر الذى أحسته أوروبا من وجود المسلمين فى أسبانيا، (٢٨: ٤١٥) ومع ذلك لا يمكن إنكار دور آسيا الصغرى، والقسطنطينية فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، التى بعث إليها خلفاء المسلمين بالعلماء والشعراء للقيام بالإطلاع على المخطوطات النادرة، حيث أقام **المترجمون** فى دار الحكمة والمكتبات، ودور العلم الإسلامية عاكفين على الترجمة، وكانوا أيضا محملين بالهدايا من الخلفاء والأمراء، فحفظوا علوم اليونان والرومان من الضياع، ثم عادوا إلى روما لينهلوا من علمائها ومفكريها، وليصنعوا بعد ذلك نهضة أوروبا. (٣٢: ٦٥٢). ولعل فى هذا تأكيد على أصالة الحوار الحضارى، وحتمية التفاعل الثقافى، وأنها سمة أساسية اتسمت بها الحضارة الإسلامية على مدار التاريخ الذى تؤكد قراءته دورها الفعال فى يقظة أوروبا ونهضتها.

وتؤكد قراءة التاريخ كذلك ازدهار الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى، وإن فضلها كان عظيما على الغرب الأوروبى، منذ عبر المسلمون "جبل طارق" وأخذوا طريقهم إلى شبه جزيرة أيبيريا "الأندلس" وواصل قواد المسلمين زحفهم منتصرين فى اتجاه فرنسا. لولا تصدى "شارل مارتل" الذى انتصر على المسلمين فى معركة تور (بلاط الشهداء) قرب "بواتييه" Poitiers عام (٧٣٢ م)، وتعاون مع الكنيسة، وعاود إرسال البعثات التبشيرية المسيحية. (١٧: ٩٩)، ولولا هذا النصر لفتح المسلمون أوروبا، وهذه الهزيمة مازالت أوروبا تحتفل بذكراها حتى اليوم لأنها أنقذت أوروبا والنصرانية من المسلمين، وفى هذا النصر يقول "إدوارد جيبون": لو قضى لشارل مارتل أن يمنى بالهزيمة فى "طوروس" أو "بواتييه" لكان "القرآن الكريم" يجرى تعليمه الآن فى مدارس أكسفورد. (٢٨: ٤١٥، ٤١٦).

٤ـ الشرق الأدنى والحروب الصليبية(١٠٩٥ ١٢٩١م):

كان لبلاد الشام والشرق الأدنى، دور كبير فى نقل مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبى، فى العصور الوسطى، لقد قصد الصليبيون منطقة الشرق الأدنى للحرب والسيطرة على الأراضى المقدسة، لا لطلب العلم، فكانت الحروب البشعة التى لم تخف حدتها إلا بسقوط "عكا" آخر المعاقل الصليبية بالشام فى أيدى المسلمين عام ١٢٩١م، وعلى الرغم من تأسيس الصليبين مملكة لهم فى "بيت المقدس"، فضلا عن عدة إمارات قوية بالشام والجزيرة –وقد كانت جميعها ثكنات عسكرية متناثرة تحول دون مباشرة النشاط الفكرى والحضارى، نتيجة الرعب والفزع– إلا أنه تخلل هذه الحروب الطويلة، اتصالات حضارية بين المسلمين والصليبين الغربيين، أسهمت فى نقل جوانب من الحضارة الإسلامية إلى غرب أوروبا.

لقد أثارت الحروب الصليبية نشاطاً كبيراً فى العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، مما ترك آثاراً واضحة فى أوروبا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصاحب انتقال بعض النباتات والأشجار والعقاقير والأصباغ والتوابل، انتقال بعض العادات والتقاليد والأوضاع السائدة فى البلاد الإسلامية إلى العالم المسيحى. ومخطئ مَنْ يتوهم أن الحروب الصليبية كانت معبر أساسى انتقلت عليه الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبى(٢٣: ٢٥٢-٢٥٤). إنما هذه الحروب كانت ثأراً من المسلمين(*)، وحقداً على فتوحاتهم للإمبراطورية الرومانية على ضفاف البحر المتوسط فى الجنوب فى: (مصر والمغرب العربى)، وفى الشرق فى (فلسطين)، وفى الشمال فى (بحر إيجه وجنوب إيطاليا، وجنوب فرنسا، أسبانيا وكل جزر البحر المتوسط)، فكان

(*) صرح الأب "حنا عطا الله" رئيس الكنيسة الأرثوذكسية فى القدس أن الحملات الصليبية كانت حملات غربية طاغية موجهة ضد المسيحيين أكثر من المسلمين، لقد قتلوا ستة آلاف راهب فى بيت لحم واحتلوا كنيسة القيامة وبيت لحم إلى أن جاء القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى وحرر هذه الكنائس.

الانتقام، بتلك الحروب الصليبية التى استمرت حوالى قرنين من الزمان (١٠٩٥ – ١٢٩١م) تحت لواء المسيح وتخليص الأراضى المقدسة مهد المسيح عليه السلام فى "فلسطين" من أيدى المسلمين، وتوالت الهجمات الصليبية بصورة بشعة ما سلم منها حتى "القدس الشريف"، الذى زعموا أنهم جاءوا لتخليصه من المسلمين، وكذلك الكنائس المسيحية نالها أبشع اعتداءات وانتهاكات فى حروب ضروس طويلة، أسفرت عن وقوع القدس فى أيديهم عام (١٠٩٩م) وكان المسلمون وحدهم فى جانب، وأوروبا كلها فى الجانب الآخر. (٣٧: ٥٧، ٥٨).

ولما فشلت الحروب الصليبية استؤنفت من جديد حروب فى شكل ذاك **الاستعمار الغربى**، الذى التقى حول أفريقيا وآسيا، ثم أعاد التوجه مرة أخرى إلى فلسطين، (١١: ٣٤٠)، ومازالت فلسطين تحت الاحتلال الصهيونى صنيعة الغرب وأداته، وشوكته فى ظهر المسلمين، وما أشبه اليوم بالبارحة، فالروح العدائية للإسلام كامنة بداخل الغرب، حتى بعد هذه القرون الطويلة، وتحالفت أوروبا مرة أخرى فى مواجهة المسلمين فى كل بقاع الأرض فى حرب صليبية هى كما عبر عنها الرئيس الأمريكى "بوش" الابن، أنها أولى حروب القرن الحادى والعشرين، بدأها بتدمير أفغانستان والآن تدمر فلسطين، ويُذبح أبناء الشعب الفلسطينى، ويبادوا بحجة اجتثاث جذور الإرهاب، تلك الوصمة التى نسبها الغرب للمسلمين والإسلام ليبرر الانقضاض عليهم وتدمير ثرواتهم ومقدراتهم.

إن قراءة التاريخ تعيد إلى أذهاننا مواقف الغرب الأوروبى حيال الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى وعصر النهضة، تلك المواقف التى أكدت العداء للإسلام والحقد على المسلمين، ومقابلة حسن صنيع الحضارة الإسلامية، بانتشال الغرب من عصور الجهل والتخلف والعبودية والحروب البربرية، إلى عصر النهضة، إلا أن هذا الصنيع قوبل بالجحود والنكران والعداء، واتضح فى

حروب طويلة الأمد بشعة، هى أقرب إلى مجازر لإبادة للمسلمين وانتهاك حرماتهم.

وقد استمرت هذه الحروب ما يقرب من ثمانية قرون، انتهت بسقوط "غرناطة" عام (١٤٩٢م) وأوذى المسلمون إيذاءً يفوق الوصف، وعلى الرغم من تسامح الحكم الإسلامى معهم فى "الأندلس"، إلا أنهم خُيِّروا بين إما التحول عن الدين الإسلامى إلى النصرانية، أو النفى خارج البلاد أو القتل. (٢٨: ٤١٦).

إن هذا الاستحضار المستمر لما هو مختزن فى أعماق العقلية الغربية إزاء الإسلام، أصبح من السهل أن يستثار ضد الإسلام لأهون سبب، وأن تُتَّخذ ضده أشد المواقف وأقساها، ويعبر عن ذلك "مراد هوفمان" بقوله: إن **أوروبا وأمريكا تتسامحان مع أى دين إلا أن يكون هذا الدين هو الإسلام**، وإذا سبرت أغوار النفس الأوروبية ولو بخدش سطحى صغير، لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام وعقده "فيينا" التى يمكن استدعائها فى أى وقت. (٢٨: ٤١٦)

ومع كل هذا الجحود والتآمر على المسلمين، إلا أن الحقيقة أجبرت "صاموئيل هنتنجتون" أن يشيد بفضل الحضارة الإسلامية وتفوقها على أوروبا من القرن الثامن وحتى القرن الحادى عشر، فى الاتساع، والثروة، والإنجازات الفنية، والعلمية، والأدبية، وبينما بدأت الثقافات الأوروبية فى التقدم فى القرنين الحادى عشر، والثانى عشر، وقد سهل ذلك استيعاب منظم ومتحمس لعناصر ملائمة من الحضارات الإسلامية والبيزنطية، وفى نفس القرنين حاول الغربيون بسط نفوذهم على "أسبانيا"، ونجحوا بالفعل فى تحقيق سيطرة مؤثرة على البحر الأبيض المتوسط، إلا أن **صعود القوة "التركية"** بعد ذلك أدى إلى انهيار أول إمبراطورية غربية فيما وراء البحار، ومع ذلك كانت النهضة الأوروبية فى الطريق بحلول عام (١٥٠٠م) وكانت التعددية الاجتماعية والتجارة قد أخذ

نطاقها يتسع، والإنجازات التكنولوجية تضع الأساس لمرحلة جديدة فى السياسة الكونية. وخلال المائتين والخمسين عاماً التالية، كان نصف الكرة الغربى، وأجزاء كبيرة من آسيا قد أصبحت تحت حكم وسيطرة أوروبا. ثم شهدت نهاية القرن الثامن عشر تراجعاً للنفوذ الأوروبى المباشر، فتمردت "الولايات المتحدة"، ثم "هايتى"، ثم معظم "أمريكا اللاتينية"، تمردوا جميعا على الحكم الأوروبى وحصلوا على الاستقلال.

إلا أن **الاستعمار الغربى الجديد** فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر بسط النفوذ الغربى على معظم أفريقيا تقريباً، ودعم السيطرة الغربية على شبه القارة، وفى أماكن أخرى من آسيا، ومع **بداية القرن العشرين**، كان قد أخضع كل الشرق الأوسط تقريبا، فيما عدا "تركيا"، للسيطرة الغربية المباشرة والغير مباشرة، وعلى مدى أربعة قرون، كانت العلاقة المتبادلة مع الحضارات، عبارة عن **تبعية** المجتمعات الأخرى للحضارة الغربية، وكان المصدر المباشر للتوسع الغربى، التكنولوجيا واختراع وسائل الملاحة فى المحيطات، للوصول إلى شعوب بعيدة، وتطور القدرات العسكرية لغزو تلك الشعوب، وكان صعود الغرب يعتمد على **القوة** إلى حد كبير، وكان مفتاح نجاح الغربيين **لإقامة** أول إمبراطورية كونية بحق، بين عامى (١٥٠٠ –١٧٥٠م) وكان يعتمد تحديدا على تلك التحسينات فى القدرة على **شن الحروب**، وهو ما أطلق عليه بالثورة العسكرية (٢٥: ٨٢ – ٨٥).

❖ وهكذا رغم خوف الغرب من قوة الإسلام والعمل الدائم على إضعاف المسلمين، إلا أن التاريخ لا يمكن تجاهله، فقد سطر بسطور مضيئة ازدهار الحضارة الإسلامية وفضلها على البشرية، وخاصة أوروبا التى ما كان لها أن تتصل بالعالم اليونانى وتراثه، والمستقبل اللاتينى إلا من خلال الحضارة الإسلامية العربية، حيث كانت همزة الوصل بين الشرق والغرب، وبين الشرق الأوسط والشرق الأقصى، إذ قامت الحضارة الإسلامية من خلال فتوحاتها –

التى هى بمثابة معابر إلى أوروبا – بدور مزدوج حفظت فيه للإنسانية تراثها، فقامت **بترجمة التراث** الإغريقى، والرومانى والفارسى...، **وحافظت عليه**، وذلك فى حال انفتاح الدولة الإسلامية فى بدايتها فى العصر العباسى على العالم، ثم قامت **بإعادة صياغة هذا التراث** فى القرن الثانى عشر الميلادى وما بعده، إلى اللغة اللاتينية بعد أن أضفت عليه النزعة العربية الإسلامية بإبداعاتها المختلفة فى مجالات الحياة المتعددة من: (علوم وفنون وآداب، وطب، وفلك، وكيمياء، وغيرها من العلوم) التى أثرت **المنهج التجريبى** خاصة، ذلك المنهج الذى ارتكزت عليه النهضة الأوروبية فيما بعد.

ولا يفوتنا أن نؤكد أن العداء الكامن للإسلام جعل أوروبا بعد نهضتها تعاود الانقضاض على بلاد المسلمين مع بداية القرن العشرين، ودخلتها غازية، مخربة، مستعمرة ناهبة لخيراتها، ومشوهة لكل ما هو إسلامى، وزاد التخريب والتدمير بصورة أكثر بشاعة يدعمها التطور التكنولوجى وامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وثورة الاتصالات والمعلومات، فى نهاية هذا القرن، ومع مطلع القرن الحادى والعشرين بحجة اتهام المسلمين بالإرهاب، وهذا ما سيكشف عنه أقوال وأفعال حكام الغرب ومفكريه، كما سيلى بعد، على صفحات هذا الكتاب.

ثانيا: العلماء والمفكرون المسلمون ودورهم فى نهضة أوروبا

لقد كان الفكر العربى الإسلامى فكراً مزدهراً، حيث استطاع الفلاسفة والعلماء نقل العلوم والفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب إلى أوروبا، مما سجل لهم السبق والفضل فى يقظة الفكر الأوروبى، والأخذ بيده على طريق النمو بدءً بعصر النهضة، وإن كان هناك نبوغ للفكر العربى، فإنما يرد الفضل أيضا إلى **الحكام والأمراء وخاصة فى العصور الأموية، والعباسية**، الذين شجعوا حركة الترجمة للتراث اليونانى القديم، وغيره إلى اللغة العربية، ثم إلى اللاتينية، ونقلها إلى أوروبا عبر الفتوحات الإسلامية، وخاصة "الأندلس".

لقد شهدت هذه العصور انفتاحاً على الثقافات اليونانية، والفارسية، والهندية والسريانية، والعبرية، فترجمت أعدادا كبيرة من الكتب فى جميع المجالات، إلى اللغة العربية، بهدف إثراء الفكر الإسلامى والعربى وتطويره، وكان **عبد الله بن هارون الرشيد** (٧٨٦ – ٨٣٣م) سابع الخلفاء العباسيين الملقب "**بالمأمون**" دائم التشجيع لحركة الترجمة، فتم ترجمة مئات أمهات الكتب فى الفلسفة والآداب "لأفلاطون"، والفلسفة والمنطق "لأرسطو"، والطب "لأبو قراط"، و"جالينوس" وكثير من الكتب فى الرياضيات والفلك "لإقليدس"، و"أرخميدس"، و"بطليموس"، وغيرهم من كبار المفكرين فى العصر اليونانى القديم، كما تُرجم إبان حكم "المأمون" العديد من الكتب من اللغة السنسكريتية فى الرياضيات والطب والفلك والآداب، ومن السريانية والعبرانية فى مختلف العلوم والآداب، وكان المأمون يعطى لكل مترجم وزن ما قام بترجمته ذهباً، ويرسل الهدايا إلى الملوك والرؤساء يسألهم أن يرسلوا إليه كتب الفلسفة والعلوم والطب لترجمتها إلى اللغة العربية.. وهكذا عمل المأمون على **إحياء الفكر العربى** الإسلامى، الذى أصبح له السيادة والعزة العالمية، فى وقت كانت فيه أوروبا تعيش فى العصور الوسطى فى ظلام دامس، وتخلف فكرى نتيجة استبداد الحكام، وإذلال العلماء الذين يخرجون عن تعاليم الكنيسة وتوجهاتها الصارمة. (٤٣: ١٤٤، ١٥٧).

- ***ومن أهم العلماء والمفكرين والفلاسفة والمؤرخين الذين أثروا الفكر العربى الإسلامى -على سبيل المثال:***

١- **الكندى** (٨٠١ – ٨٦٨م): هو أول فيلسوف عربى يتميز بالحداثة، فهو مؤسس الفلسفة التوفيقية بين الفكر الإغريقى والثقافة العربية الإسلامية، ألف العديد من الكتب فى: (الفلسفة، الطب، الهندسة، الموسيقى، الفلك، السياسة) وأول مَنْ جمَعتْ عبقريته العديد من العلوم، وحظى بالشهرة فى عهد المأمون.

٢- **الفارابى (٨٧٠ – ٩٥١م):** وهو رائد الفلسفة العربية الإسلامية، قام بالتوفيق بين فلسفة "أرسطو"، و"افلاطون"، والحكمة والشريعة، والدين والفلسفة، وكان له فلسفته عن التكامل العقلى، فهو يرى أن العقل مصدر المعرفة والإلهام.

٣- **ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧م):** ونبغ هذا الفيلسوف فى الفلسفة والطب والسياسة والفلك الذى صنع له آلة للرصد، وتُرجمْت مؤلفاته إلى مختلف اللغات الغربية، وبلغت أكثر من ٢٧٠ مؤلفاً، ومن أشهرها "الشفاء" فى الفلسفة، "القانون" فى الطب، وغاية الفلسفة عنده هى معرفة الله تعالى والتفانى فى ذكره (٤٣: ١٥٨-١٥٩). وقد تناول كتاب "القانون" علم وظائف الأعضاء، وعلم الأمراض وعلم العلاج، وظلت هذه الكتب مرجعاً عاماً للطب لمدة ستة قرون، واعتبرت من أهم الأسس للمباحث الطبية فى جامعات فرنسا وإيطاليا حتى القرن الثامن عشر. (٣٢: ٦٦٢ – ٦٦٣).

٤- **أبو القاسم القرطبى ١١٠٧م:** وهو أشهر جراحى أوروبا، وتعتبر كتاباته المصدر العام الذى استقى منه جميع مَنْ ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر الميلادى، وقد اعترفت أوروبا بدور الجراحين المسلمين فى نقل تخصص الجراحة إلى أوروبا.

٥- **ابن زهر الأشبيلى:** الذى جمع بين دراسة العلوم الطبية وعلوم الصيدلة، كما اعترفت أوروبا بالمستوى العالمى لمصحات المسلمين، وكانت بمثابة مدارس لتعليم الطب والعلاج فى آن واحد مثل، (بيمارستان المنصورى) بالقاهرة، ثم انتقلت إلى بقية أوروبا، وظلت كتب الطب الإسلامية، هى المصادر الأصلية لدراسة الطب فى أوروبا. (٩: ٨٣)

٦- **ابن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨م):** كان من أكثر الفلاسفة احتراماً للتراث الدينى، وكان يكتسب رزقه من اشتغاله بوظيفة فى الدولة وهى "القضاء"،

وانتقد الفلاسفة الذين جاءوا بأفكار يمكنها أن تقود المؤمنين العاديين إلى الضلال، ويعتبر "ابن رشد" من اعظم الفلاسفة العرب العقلانيين، وإمام التنويريين الإسلاميين، والشارح لفلسفة "أرسطو" التى صعب على فلاسفة عصره فى الغرب فهمها، وهو الفيلسوف الذى انبرى "للغزالى"، وهاجمه هجوماً عنيفاً فى كتابه "تهافت التهافت" مدافعاً عن العقل الإنسانى، أعاد شرح فلسفة "أرسطو" وربط بين علاقة الدين بالعقل، والشريعة بالحكمة، وتُرجمت كتبه إلى مختلف اللغات، العبرية، واللاتينية، والفرنسية، والإنجليزية، وغيرها، وهو صاحب مدرسة الرشدية، فى جامعة "السوبون" بفرنسا، التى أنشئت لدراسة فلسفته فى القرن الثالث عشر الميلادى، ونقل عنه الكثيرون من المفكرين الأوروبيين، ومنهم كبيرهم "توماس الأكوينى". وقد قام "المنصور بن يعقوب بن عبد المؤمن" بنفى الفيلسوف الإسلامى العظيم "ابن رشد" إلى قرية فى "أليسانه" بالقرب من قرطبه، وأمر بجمع كتب ومجلدات ومؤلفات "ابن رشد" فى الفلسفة، من المكتبات ودور العلم، وصبوا عليها النفط وأحرقوها. وقد ذهب هذا الفيلسوف – الذى تحتفى به المؤسسات الدولية – ضحية السياسة الجائرة، فجاء أمر الحاكم فى بلاد المغرب بحرق مؤلفاته، فى وقت سطع فيه اسمه فى سماء العلم والفكر والفلسفة فى أوروبا، وهكذا اعتبر "ابن رشد" من **أكثر فلاسفة الإسلام تأثيراً فى الفكر الأوروبى المسيحى** (٤٣: ١٣٠ –١٣١)، ورغم العداء الذى صادفه "ابن رشد"، إلا أن فلسفته ظلت تنمو وتنتشر، وتجد المؤيد لها، بل وظلت مبادئه تدرس فى الجامعات الأوروبية وخاصة فى إيطاليا، حتى القرن السادس عشر، حيث قيل أنه أكثر انتساباً إلى أوروبا منه إلى العرب والإسلام، واعتبر "ابن رشد" من المفكرين الذين كانوا اكثر حرية فى تناول العديد من الموضوعات (٣٢: ٦٥٩ – ٦٦٠).

٧- **ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦م):** ويعتبر أول مفكر فى تاريخ الحضارات يضع علم جديد اسمه "علم العمران"، وهو ما عرفه الغرب بـ"علم الاجتماع"، وهو فيلسوف اجتماعى تاريخى، دوّن أفكاره فى سبع مجلدات، اشتهر منها المجلد الأول المعروف باسم "مقدمة بن خلدون" وترجم إلى مختلف اللغات الغربية، وعظمه المؤرخ الإنجليزى "أرنولد توينبى" واعتبر "المقدمة" نصراً جديداً فى علم "التاريخ والفلسفة والاجتماع بقوله أنها: "أعظم إبداع فكرى من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان". (٤٣: ١٥٩).

- ***لقد تمكن الأوروبيون من نقل مناهج البحث عند علماء المسلمين وخاصة المنهج التجريبى، حيث كان للمسلمين الأثر فى مجرى تاريخ العلوم التجريبية وترجمت كتاباتهم إلى اللغة اللاتينية، وأعقبها ترجمات إلى مختلف اللغات الأوروبية وقد كان أثرهم واضحاً فى تطور (العلوم، والرياضيات، والطب فى أوروبا فى القرون الوسطى وبداية عصر النهضة، ومن هؤلاء المفكرين المبدعين – على سبيل المثال:***

٨- **الخوارزمى (٧٨٠ – ٨٥٠م):** وهو عالم متعدد المواهب فى (العلوم، الرياضيات، الفلك، الجغرافيا، التاريخ)، وكان له الفضل الأكبر فى وضع أساسيات علم الجبر، ووسّع نطاقه فى استخدامه لحل المعادلات الرياضية والهندسية، كما وضع حساب اللوغاريتمات، وترجمت أعماله إلى مختلف اللغات الأوروبية، وسجل له الأوروبيون عبقريته فى علم الجبر وفضلوها على ما كتبه الإغريق. (٤٣: ١٥٩ –١٦٠).

٩- **الرازى (٨٦٥ – ٩٢٥م):** وهو من مفكرى القرن العاشر، وزاول مهنة الطب خمسين عاماً فى بغداد، وألف مصنفات عديدة فى تخصصات مختلفة، منها كتاب "الحاوى" فى الطب جمع فيه صناعة الطب، وكتاب "المنصورى" الذى قسمه إلى عشر أقسام ناقش فيها عدة فروع، وقد ترجمت كُتب "الرازى" إلى اللاتينية، فى كل من "البندقية" عام ١٥٠٩م، و"باريس" عام ١٥٢٨م، وفى عام ١٧٤٥م أعيد طباعة كتب "الرازى" عن مرض

الحصبة والجدرى، وظلت جامعات أوروبا تعتمد على كتبه مع كتب "ابن سينا" فى تدريس الطب. (٣٢: ٦٦١)، ولذلك لقب "الرازى" فى الغرب بـ"جالينوس العرب" لعبقريته، وكان كتابه "الحاوى" يتكون من ثلاثين مجلداً، جمع فيها طب الهنود والإغريق مضافا إليها ملاحظاته الدقيقة لمرضاه، وهم على أُسِرّة المستشفى يتتبع سير أمراضهم ويدون الأدوية ونتائجها.

١٠- **البوزجانى (٩٤٠ – ٩٩٨م)**: وهو أعظم علماء عصره فى علوم الرياضيات والهندسة، والفلك، فهو أول مَنْ شرح كتب "إقليدس"، و"الخوارزمى"، وألف فى الجبر والهندسة، ومن أهم إنجازاته الرياضية كتابه عن الطرق المبتكرة للرسم الهندسى، والذى ترجم إلى العديد من اللغات الأوروبية، كما أدخل العديد من إبداعاته على حساب المثلثات، والهندسة وحركة الأجرام السماوية.

١١- **ابن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٩م)**: وهو أعظم علماء الرياضيات والفيزيلء فى عصره، تعددت مصنفاته حتى بلغت الأربعين كتاباً فى الفلسفة والعلوم، وخمسة وعشرين كتاباً فى الرياضيات والعلوم التطبيقية، وكان من أشهر مؤلفاته كتاب "المناظر" والذى حسم فيه حقيقة الإبصار، والذى ترجم إلى اللغة اللاتينية والعبرية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، وكان منهجه علمياً رياضياً قائماً على **البحث والتجريب والقياس**، مما كان له الأثر الأكبر على سير العلوم التجريبية وخاصة علم الإبصار.

١٢- **ابن النفيس (١٢١٠ – ١٢٨٨م)**: وهو أول علماء الطب العرب الذين أخضعوا أبحاثهم **للمنهج العلمى**، وكان رائداً فى علم وظائف الأعضاء، وعين رئيسا لأطباء "البيمارستان المنصورى" الذى أقامه السلطان قلاوون فى مصر، وهو أول من وضع تفسيراً طبياً علمياً يوضح الدورة الدموية للإنسان، وهو بهذا الكشف سبق "وليم هارفى" الإنجليزى بثلاثة وستين عاماً

من اكتشافه حركة القلب والدورة الدموية. ومن أهم مؤلفات "ابن النفيس" فى علوم الطب "الموجز فى الطب"، لخص فيه كتاب "القانون" "لابن سينا".

- وهناك العديد من العباقرة فى **مجال العلوم الاجتماعية والتطبيقية** أمثال: "ابن ماجد": فى علوم البحار، "ابن العوام": فى علم النبات، "المخازن": فى علم الفيزياء، "الدينورى": فى علم النبات، "المقديسى": فى علم الجغرافيا.

- **وهناك أيضا العديد من الأدباء** أمثال: "ابن بطوطة": فى أدب الرحلات، "الجاحظ": فى الأدب، "المتنبى": فى الشعر، "ابن قتيبه": فى اللغة والنقد، "ابن شهيد": فى الشعر والنقد،... ناهيك عمَنْ أبدعوا فى **مجال الفقه والتفسير والشريعة وأصول الدين** (٤٣: ١٦٠ – ١٦١).

- ***ومن أهم مفكرى الغرب الذين استفادوا من الفكر العربى الإسلامى - خاصة فى القرون الوسطى*** التى كبلت فيها عقول العلماء والمفكرين فى الغرب- المفكر الإنجليزى "**روجر بيكون**" (١٢٢٠ – ١٢٩٢م)، الذى أطلع على تراجم كتب العلماء والفلاسفة المسلمين، فأخذ عنهم، وخاصة فكرة البحث العلمى وتدوين نتائجه، من "ابن الهيثم" فكان أول من دعا فى الغرب إلى ضرورة إجراء التجارب العلمية وتدوينها، وكذلك المفكر "**وليام الأوكامى**" (١٢٨٥ – ١٣٤٩م) فى القرن الرابع عشر، الذى دعا إلى التحرر من سيطرة الكنيسة، وفصل الدين عن الفلسفة، وطالب بضرورة إمعان الفكر والعقلانية والحرية للمفكرين.

وفى القرن الرابع عشر انطلقت من إيطاليا **حركة ثقافية إبداعية** ازدهرت ونمت على مدى أربعة قرون أطلق عليها **(عصر النهضة)** تلك الحركة استهدفت بداية إحياء التراث اليونانى القديم، وبعثاً لفلسفة "سقراط" وإحياء الفلسفة الطبيعية التى وردت فى الفكر اليونانى، حتى ولو كانت لا تتفق مع قواعد الكنيسة فى العصور الوسطى.

• ***ومن أهم فلاسفة وعلماء وأدباء وفنانى عصر النهضة:*** "**ليوناردو دافنشى**" (١٤٥٢ – ١٥١٩م) وكان عالماً رياضياً وفناناً موهوباً فى الرسم والنحت والمعمار، وكذلك العالم "**كوبرنيكس**" (١٤٧٣ – ١٥٤٣م) الفلكى المبدع الذى كشف حركة الأجرام السماوية، وتميزت نظريته بأن الشمس مركز الكون وأن الأرض تدور حولها، وكذلك برز القس "**مارتن لوثر**" (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستانتى، وطالب بفصل الدين عن الدولة، ومن ثم انبثق الفكر العلمانى فى أوروبا، وكذلك العالم "**ديكارت**" (١٥٩٦ – ١٦٥٠م) الذى جعل أساس العلم هو اليقين المطلق الذى لاشك فيه، وكانت فلسفته هذه هى أساس الانطلاقة الأوروبية نحو تحقيق معجزات العلم الحديث على أسس منهجية سليمة، وكذلك المفكر "**فرانسيس بيكون**" (١٥٦١ – ١٦٢٦م) الذى قال بضرورة أن يكون للعلوم غاية، وهى السيطرة على الطبيعة وزيادة المعرفة عند الإنسان، واستخدام المناهج العلمية والتكنولوجية فى التطوير وتنمية المجتمعات، وكذلك العالم "**يوحنا لوك**" (١٦٣٢ – ١٧٠٤م) الذى قال بأن التجربة هى مصدر المعرفة، وهو ممَنْ عجلت كتاباته بقيام الثورة الفرنسية، نتيجة لترويجه للمبادئ والقيم الديمقراطية والاجتماعية، ثم كان العالم "**اسحاق نيوتن**" (١٦٤٢ – ١٧٢٧م) الذى صاغ بعبقريته قانون الجاذبية. (٤٣: ١٤٨ – ١٥٠).

❖ **هكذا يتضح** أن الغرب مدين للعلماء المسلمين ومفكريهم فى يقظته، وإخراجه من ظلام القرون الوسطى إلى عصر النهضة، وغالباً ما يرجع هذا الفضل إلى **حركة الترجمة** التى كانت سبيلا لنهوضه من سباته فى القرون الوسطى، من خلال الترجمة من العربية إلى اللاتينية، حيث قام العلماء المسلمون بترجمة التراث اليونانى والفارسى والهندى...، إلى العربية، ثم قاموا بمناقشته وتفنيده، وتصحيحه، والإضافة إليه، ثم حفظوه من الضياع – فقد ضاعت معظم تلك المؤلفات، إلا ما قام العرب بترجمته – وهو ما استفادت منه أوروبا.

- ***ومن أهم مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية: [أ- "الأندلس".***

ب- "صقلية"] هذا إلى جانب جهود "طليطلة"، "قرطبة" "أشبيليه" فى حركة الترجمة.

أ- الأندلس:

كانت الأندلس بمثابة المركز الرئيسى للترجمة من العربية إلى اللاتينية، فقصدها الكثيرون من أعلام النهضة فى بداية القرن الثانى عشر، يطلبون الارتواء من فيض الحضارة الإسلامية، فى مختلف العلوم والفنون والآداب **ومن هؤلاء:**

- "**أديلارد" الإنجليزى**، "**هرمان**" من شمال البندقية، "**جيرارد**" من كريمونا بإيطاليا.

- "**روبرت الشسترى:** (١١١٤م)، ويعتبر من أعلام حركة الترجمة فى النصف الأول من القرن الثانى عشر، وقام بترجمة معانى **القرآن الكريم** لأول مرة إلى اللاتينية، كما قام بترجمة كتب "الخوارزمى" فى الرياضيات والفلك والكيمياء.

كذلك قام أهل اسبانيا "المستعربين **اليهود**" بنقل المعارف من الكتب العربية وترجمتها إلى اللاتينية، ومنهم على سبيل المثال: "**دومو نيقوس**"، "**بطرس الفونس**"، "**حنا الأشبيلى**"، "**إبراهيم أبو عذرا**"

ونشطت **حركة الترجمة** عن العربية فى "برشلونة"، "طرزونة"، "ليون"، "بمبلونه"، "طليطلة" التى كان لها شأن كبير فى الترجمة، فقد أنشأ "**ريمون**" رئيس أساقفة "طليطلة" مكتباً كبيراً للترجمة عن العربية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر، تم فيه ترجمة الكثير من أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية.

كما شهد النصف الثانى من القرن الثانى عشر، جهود زعيم حركة الترجمة عن العربية "**جيرارد الكريماونى**" (١١١٤ - ١١٨٧م) الذى رحل إلى "طليطلة"، حيث قضى عدة سنوات تعلم فيها اللغة العربية، على يد أحد

المستعربين، وكان قد ترجم إلى اللاتينية أكثر من (٧٠ مؤلفاً)، عندما توفى عن ٧٣ عاماً، وكلها معارف فى الرياضيات، الطبيعة، الكيمياء، الطب. (٢٣: ٢٥٧، ٢٥٨). وقد أطلق عليه الأب الحقيقى لحركة الاستعراب فى أوروبا، وهو من مواليد إيطاليا ولكنه ارتحل إلى الأندلس وقضى بها معظم حياته مترجماً، ومن أهم ترجماته مؤلفات "أبقراط"، "جالينوس"، "الكندى"، "الفارابى"، وتوفى قبل أن يتم ترجمة كتاب "القانون" لابن سينا. (٣٢: ٦٥٤).

وظهر فى أوائل القرن الثالث عشر "الفريد" الإنجليزى، "**ميخائيل سكوت**" الاسكتلندى، "**هرمان**" الألمانى، وكلهم عملوا على ترجمة المؤلفات العربية فى الأندلس.

بـ صقلية:

وكانت بمثابة المركز الثانى لحركة الترجمة، وقامت بنصيب وافر فى الترجمة، ويرجع الفضل فى ذلك لدخولها تحت حكم المسلمين من عام (٩٠٢ – ١٠٩١م)، وموقعها المتميز بين أوروبا، أفريقيا، ونتيجة لاحتفاظها بنسبة كبيرة من سكانها المسلمين وثقافتها العربية فى عصر "النورمان" الذين خلفوا المسلمين فى حكم الجزيرة. وفى عام (١١٥٠م) ترجم "**أبو جنيوس البالرمى**" كتاب بطليموس السكندرى فى المرئيات، عن العربية، واشهر المترجمين فى القرن الثالث عشر **اليهودى** "**فرج بن سالم**" المتوفى عن عام (١٢٥٨م) وهو من أصل صقلى، واشتغل بالحياة العلمية فى "سالونو" حيث ترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية. (٢٣: ٢٥٨، ٢٥٩).

وبلغ إقبال الغرب على العلماء المسلمين – نتيجة ولعهم بالثقافة الإسلامية العربية– أن كان بعضهم مثل: ملك صقلية "**روجرز الثانى**" (**١١٢٩ – ١١٥٤م**) الذى جمع العلماء المسلمين حوله مقتديا بالخلفاء العباسيين، ومنهم "**الشريف الإدريسى**" اكبر علماء الجغرافيا المسلمين، كما تأثر الإمبراطور "**فردريك الثانى**" (١١٩٤ – ١٢٥٠م) وريث عرش صقلية بالثقافة العربية

السائدة، كما تأثر بثقافة الشرق العربى الإسلامى فى حملته الصليبية السادسة، ومن أجل سلوكه هذا أصدرت عليه الكنيسة قرارا بالحرمان والقطع مرتين فى حياته، وقد نجح هذا الإمبراطور فى إنعاش مدرسة "سالونو"، فأنشأ "جامعة نابولى" التى تحولت فى وقت قصير إلى جامعة لنقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوروبا، كما اهتم بالاطلاع على كتب المسلمين، واستقدم كثيراً من المشارقة (يهود ومسيحيين ومسلمين) للقيام بعمليات النقل والترجمة، فترجمت أمهات الكتب الإسلامية.

وفى القرنين الثانى والثالث عشر **تمت ترجمة** ما يزيد على (٣٠٠ كتاب فى الطب) وهنا يقول "سبيوى" إن التأثير الذى بثه العرب فى الغرب الأوروبى، قد عبر عن نفسه، وبدت مظاهره فى جميع فروع الحضارة، وقد رأينا أنه منذ القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر، تكونت أكبر مجموعة فى التاريخ من المعارف الأدبية، وظهرت مصنوعات ومنتجات ثمينة تشهد بالنشاط الذهنى المذهل، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا، حتى يتأكد القول بأن العرب والمسلمين كانوا أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة. (٣٢: ٦٥١، ٦٥٢).

ولا يمكن أن ننسى **مكتبة قرطبة** تلك المكتبة التى أقامها المسلمون، وكانت تحتوى على أكثر من مائة ألف مجلدا، بينما كانت مكتبة شارل الخامس ملك فرنسا الملقب بالحكيم (العالم) لا تحتوى إلا على ألف كتاب، بعد أربعة قرون. (٤٣: ١٥٧). وبالطبع ونحن فى مجال الترجمة لا يفوتنا إعادة التأكيد على جهود حركة المسلمون فى الترجمة فى "**دار الحكمة**" فى بغداد، بتشجيع من الخليفة العباسى "المأمون" حتى أن هذه الدار ضمت آلاف من الكتب والمجلدات، لإثراء المجتمع الإسلامى، كما كان "**لدار الحكمة**" التى أقيمت فى العصر الفاطمى بالقاهرة، دور فى حفظ علوم الأقدمين، كذلك كان **للجامع الأزهر** الذى أسسه الفاطميين كجامع وجامعة، دورا هاما، حيث تلقت الجامعة الطلاب من بلاد العالم منذ القرن العاشر الميلادى، كما قامت **المدرسة النظامية** فى بغداد

فى القرن الحادى عشر، **وكذلك أنشئت المدرسة المستنصرية** التى وصفها المؤرخين بتميزها الفريد، من حيث فخامتها وروعة بنائها وثراء مكتبتها. (٣٢: ص٦٥٤-٦٥٥).

❖ **وهكذا يتضح** من قراءة التاريخ – وفى ضوء ما سبق – مدى اعتناق الحضارة الإسلامية **للتعددية وسيلة**، انطلاقا من الإيمان بقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [هود: ١١٨]، وكذلك اعتناق **التسامح أسلوبا** انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٩٩]. وإنه "لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى"، واتضح ذلك جلياً فى التعامل مع سكان تلك الفتوحات، الذين رغبتهم تلك السلوكيات فى الإقبال على ثقافة تلك الحضارة، ينهلون منها- بعد أن حرمتهم الكنيسة ومحاكم التفتيش من العلم والمعرفة، بمعاقبتها للعلماء وحرقهم- فساهمت بذلك فى إيقاظ الوعى فى تلك الفتوحات إيماناً منها بأهمية **تلازم الدين مع العلم** لفتح المجتمعات وإعمارها واستقرارها وتطورها.

ولعل حركة الترجمة هى أكثر الدلالات على مدى اعتناق الحضارة الإسلامية للتعددية والتسامح – حيث كان لا تفرقة بين الأديان [يهودى، مسيحى، مسلم] بل شارك كثير من اليهود(*) فى الترجمة باعتبارهم جزء من النشاط الحضارى الإسلامى، فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلاديين، وأثمر ذلك **التسامح** فى إيقاظ الوعى، وإقبال مفكرى الغرب على العلوم والثقافة الإسلامية، تلك التى كانوا فى تعطش إليها، بعد طول معاناة، ونتيجة لسماحة الإسلام أقبل

(*) أمثال: دومونيقوس، حنا الأشبيلى، إبراهيم ابن عذرا. أبو جنيوس البالرمى. فرج ابن سالم.

المستعربون الأسبان على استخدام اللغة العربية، وتفضيلها على اللاتينية، وسُمِح لأهل الذمة بالترجمة من العربية إلى اللاتينية ونشأت **مدرسة كبيرة من غير المسلمين** استطاع أعضاؤها أن يكونوا هم السفراء بين الحضارة الإسلامية فى الشرق، والغرب الأوروبى.

لقد تفانت الحضارة الإسلامية فى العمل على حفظ التراث اليونانى، والرومانى والفارسى والهندى والمصرى القديم، من الضياع، فحفظته بترجمة علماء المسلمين لهذا التراث إلى اللغة العربية، ثم عملوا على تفنيده وتصحيحه وإضافة شروح جديدة له، عكست الصبغة الإسلامية، فأصبح أكثر فاعلية ودقة، مثلما فعل "ابن رشد" مع فلسفة "ارسطو"، وفى هذا تأكيد على حرص تلك الحضارة على **الانفتاح على الآخر وأهمية التفاعل والتمازج والحوار بين الحضارات**، وأقام أمراء المسلمين وحكامهم، دور الحكمة، والمدارس النظامية، وجامعة الأزهر، ناهيك عن الإنفاق الهائل على الترجمة، لتفعيل دور الترجمة فى إحياء التراث، حتى كان الغرب ينظر إلى علماء وفلاسفة المسلمين بعين الإجلال والتقدير... وبذلك **أسهمت الحضارة الإسلامية العظيمة فى الأخذ بيد أوروبا من ظُلمة القرون الوسطى إلى عصر النهضة.**

****